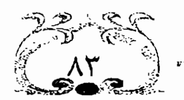
التجني على الامام البخاري صاحب الصحيح

بقلم الدكتور عودة الله منيع القيسي

الإمام البخاري - محمد بن اسماعيل - المتوفى سنة ٢٥٦هـ صاحب «الجامع الصحيح» المشهور بصحيح البخاري، احد اصدق خمسة عشر عظيماً في الاسلام، وهم اطهر وأنبل خمسة عشر بعد رسول الله ﷺ، وهم الخلفاء الراشدون الأربعة، يضاف لهم عمر بن عبد العزيز الأموي -الخليفة الراشد الخامس- والأئمة الاربعة، يضاف لهم محمد بن احمد بن حزم، صاحب المذهب الظاهري، والامامان ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وهما من رجال القرن الثامن الهجري، رضي الله عنهم جميعاً.

والامام البخاري صدوق لا يشك في صدقه، الا مغرض منافق عميل لاصحاب العولمة، بيد انه بشر لا يوحى اليه، واذا كان من ملاحظة على الامام البخاري، فليست حول صدقه، وطهره وقوة ايمانه، وحده الكامل فيما نهد نفسه به، وانما في انه في بعض المتون «النصوص» كان يقبل نصين في مجال واحد، او حالة واحدة بينهما شيء من التعارض، وهذا راجع الى ما لا يؤاخذ عليه -شرعاً- راجع الى «الملكة النقدية» عنده، فهي ليست في الذروة من الأحكام.

وبرغم كل هذه الفضائل فإن شخصاً يسمي نفسه في كتابه «زكريا اوزون» يكتب كتاباً «رديئاً» سماه «جناية البخاري»، والعياذ بالله! فالبخاري عند هذا الرجل صاحب جناية على الحديث النبوي الشريف، هذا الرجل الذي لا منطق عنده ولا قدرة على الاستدلال والاستنتاج، كما سنعرف تالياً، بل يعزل الاحاديث التي يتناولها عن ظروفها وسياقها البلاغي والتاريخي، بل يتغافل عما يمكن ان يفهم منها، اذ بعضها ليس له الا دلالة تاريخية، ولكن بعضها له دلالة ماضية الى يوم الدين.



وانا لا اريد ان اتهم هذا الرجل الذي «لا يتورع» بوصف البخاري -حاشاه- انه صاحب جناية.. انه اداة في يد اقطاب «العولمة» الذين يشنون عن سابق تخبط واصرار، حملة شعواء على كل ما هو «مقدس» او كالمقدس في الاسلام، لكي ينزعوا عنه هالة القداسة او التوقير، مما يسهل اتهام «جهده» الذي بذله من اجل الاسلام، بل وتسفيهه، والا فكيف يخترقون هذا الجدار المنيع من عقيدة الاسلام، وفكر الاسلام وقيم الاسلام، هذه الراسخة في الوجدان والنفوس والعقول؟

ولكي تشاركني اخي القارئ، الحكم على عقل هذا الرجل ذي الاسم المستعار.. امض معي في تناول نماذج مما خطأه، لكي ندرك معاً ان ما خطأه خمسة وتسعون بالمئة منه صواب وليس بخطأ.

اول خطأ فادح يقع فيه ملف «الجناية» انه يعتمد مصادر ليست موثقة توثيقاً علمياً، خلافاً لتوثيق صحيح البخاري مثلاً، من هذه الكتب: طبقات ابن سعد، تاريخ العرب لمصطفى صادق الرافعي، تاريخ الذهبي الكبير، العقد الفريد، البداية والنهاية لابن كثير، الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني، مروج الذهب للمسعودي، تاريخ الطبري، الامامة والسياسة، الكامل في التاريخ لابن الأثير، سيرة ابن هشام، اسد الغابة، تاريخ مدينة دمشق، صفوة الصفوة لابن الجوزي، تاريخ الخلفاء للسيوطي، ضحى الاسلام لأحمد أمين، صور من حياة الصحابة لعبد الرحمن الباشا.

وهذه الكتب على تفاوت بينها في التوثيق، فكما فيها الحب وفيها الزؤان، فيها الخبر الصادق والخبر الكاذب، فلا بد اذن للباحث الجاد ان يدرس الاخبار في هذه الكتب دراسة علمية، تعتمد على معايير تاريخية وعلى قوانين الاجتماع، وعلى حقائق النفس البشرية.

اما ان يأخذ الباحث كل خبر يدعم رأيه، من غير تحقيق وتدقيق، فذلك لا يدل الا على باحث، جاهل بأصول البحث، او مغرض صاحب هوى، او تافه يغريه ان يرى اسمه مرسوماً على كتاب مطبوع.

٢- وفي ظلام هذا المنهج المضطرب، تتوالى الأخبار التي لا أصل حقيقياً لها، والتفسير المتجني لاحاديث الرسول العظيم ﷺ، كما وردت في صحيح البخاري رضي الله عنه، واليك بعضها، اي اليك نماذج منها:

أ- تحت عنوان «البخاري والقرآن الكريم» يقول الاسم المستعار: ان اول الآيات التي نزلت من القرآن فيها روايتان: الأولى، ان الآيات الخمس من سورة «العلق» او ما نزل من القرآن (ص٣٢)، والثانية ان سورة «المدثر» او ما نزل (ص٣٥).

اقول: الكاتب محق في ذلك، اذ كان يفترض في الامام البخاري ان يفاضل بين الروايتين، ثم يختار ما يرجح منهما، بواسطة الدليل وان كنا نجد من يقول: البخاري ذكر الروايات التي صح سندها عنده، ثم ترك الترجيح لمن يأتي من العلماء، وهو رأي لا يخلو من وجاهة.

ومثل هذا الاختلاف في اول الآيات التي نزلت، الاختلاف في آخر آيات نزلت (ص٣٦-٣٩)، وهذه هي الملاحظة الوحيدة الصحيحة عند المؤلف.

ب- حديث ابي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟» البخاري، كتاب الجهاد، (ومن كتاب المؤلف ص٤٩).

وتعليق المؤلف: وهل ينزل الله تعالى بذاته ام بعلمه؟ وفي كلتا الحالتين، هل يحتاج الله عز وجل الى النزول الى الارض، في الثلث الأخير من الليل، كي يلبي دعوة عبده ليعطيه ويغفر له؟ وهو عالم السر وأخفى، والعالم لما في الصدور والأقرب من حبل الوريد؟ (ص٥٠).

والجواب: عندي، ان الله تعالى ينزل، ولا نستطيع ان نقول: بذاته او بعلمه، النزول صحيح، ولكن تفاصيله غير معلومة، وكيفيته مجهولة، والا فماذا نقول في قوله تعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ الفجر: ٢٢، اي الملائكة تبعاً لمنطقك؟ الصحيح، ان الله تعالى يجيء، لكن كيف؟ ذلك أمر مجهول، لأن معرفة الكيفية فوق طاقة عقولنا، ولكن الايمان بأن الله تعالى لا يعجزه شيء في السموات ولا في الارض، كما وصف ذاته، وان كلام الله حق ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ فصلت: ٤٢، وانه تعالى كما وصف نفسه، لكن الايمان بذلك كله، امر في قدرة العقول استيعابه وتفهمه.

ت- وتحت عنوان «البخاري والرسول الكريم»: يورد المؤلف حديثاً للبخاري عن اغتيال كعب بن الاشرف اليهودي (ص٥٩) من كتابه، وحديثاً آخر عن قتل ابن ابي الحقيق (ص٦٠)، وثالث عن قتل الشاعر ابن خطل، يوم فتح مكة المكرمة، اذ جاء رجل فقال: «ان ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال ﷺ: اقتلوه» (ص٦٢).

ويعلق الكاتب: يتضح من الأحاديث الثلاثة السابقة، ان الرسول الكريم قد أمر بالتصفية الجسدية للمعارضة الفكرية له، وهو امر لا يمكن قبول نسبته الى المصطفى، الذي ارسل رحمة للعالمين، والذي عفا عمن حاول قتله، فما بالنا بمن خالفه الرأي والرؤيا، (ص٦٢).

وردي: ان الرسول ﷺ، لم يصفِّ هؤلاء

الثلاثة جسدياً، لانهم مجرد معارضين له في الرأي والرؤيا، بل لأنهم كانوا يشتمون ويسبون، فكعب بن الاشرف كان شاعراً، فكان يهجو الرسول الكريم ﷺ بشعره، ويشبب بنساء المسلمين، وابن الاخطل كان يهجو الرسول الكريم، وكان له جاريتان مغنيتان، كان ينظم لهما الشعر في هجاء الرسول الكريم ليغنيا به، ولهذا امر الرسول الكريم بقتلهما ايضاً، وقريب من هذين الرجلين في ايذائه للرسول الكريم ابن ابي الحقيق.

اذن الرسول العظيم، امر بقتلهم، لا لأنهم كانوا معارضين في الفكر، وانما لأنهم كانوا يهجون ويشتمون، فلم تكن خصومتهم خصومة النبلاء، وانما كانت خصومة الأنجاس الحقراء.

وعقاب من يستحق العقاب، لا يتعارض مع الرحمة لأنه عدل، ولا تعارض بين العدل مع الرحمة، وتحقق الرحمة احياناً في عقاب الذين لا يتورعون عن شتم الشرفاء وقذفهم بالباطل، اما قال الشاعر، والشعراء اصحاب حكمة:

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً

فليقس احياناً على من يرحم

ولو كان الرسول العظيم ﷺ يصفي جسدياً المعارضة الفكرية، لصفى المنافقين في المدينة، وفي مقدمتهم المنافق الأكبر، عبد الله بن أُبي بن سلول، الذي عاد بثلث الجيش في معركة «أحد» لكي يضعف من معنويات الجيش المسلم، فكان فعله هذا، الذي تم عن تخطيط وتدبير بليل، احد الاسباب التي ادت الى تقهقر المسلمين امام المشركين في هذه المعركة.

ولصفى سادة مكة يوم الفتح، اذ كانوا معارضة فكرية عنيفة له، بل الذي حدث ان الرسول العظيم ﷺ عفا عنهم، وقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، ولم يأمر بالقتل الا لعدد من الشعراء كانوا يؤذونه ﷺ بشعرهم، فقال لقادة جيشه: «اقتلوهم ولو وجدتموهم تحت أستار الكعبة» سيرة ابن هشام ٢/٤١٠ ، كما كان يؤذيه بالسب والشتم أولئك النفر الثلاث.

- واذن.. فالحديث صحيح لا شبهة عليه، واذن فالبخاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال حقاً ولم يكن محتوشاً ولا جانياً -حاشاه.

ث- عن ابي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ان رسول الله ﷺ قال: «بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، فبينا انا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي» رواه البخاري (ص٦٣ من الكتاب).

ويعلق المؤلف: لا عجب ان يؤيد الرسول الكريم بالحكمة والموعظة، ويبلغ القول «جوامع الكلم» ولكن ان ينصر بالرعب عوضاً عن الخشوع، والمحبة، وان يؤتى مفاتيح الخزائن، عوضاً عن مفاتيح الاتباع والايمان، فان ذلك يجعلنا نصف

تلك الاحاديث كما ذكر بعضهم، بالأحاديث «الأموية» لا النبوية، التي تنبض بتبرير سياسة الانتشار، والتوسع والسيطرة (ص٦٤).

أقول: قول رسول الله ﷺ: «نصرت بالرعب» كلام عظيم، لأن الرعب موجه الى الاعداء المقاتلين، اما الاتباع والمسالمون من اهل الملل الأخرى، فلا عدوان ولا رعب عليهم، اما قال تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين﴾؟ البقرة: ١٩٠، بيد ان الذين ينقضون عهدهم في كل مرة من الكفار فلا بد من ارعابهم، لمنع غيرهم من ان يفعلوا مثلهم، قال تعالى: ﴿ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ❁ الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون ❁ فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون﴾ الأنفال: ٥٥-٥٧ .

اما المسالمون من اهل الملل الأخرى، فلا عدوان عليهم قال تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين﴾ الممتحنة: ٨، لاحظ: بر وإقساط والاقساط قمة العدل، بعد هذا التوضيح.. اما ترى معي ان هذا الرجل جاهل بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، فلولا ان بضاعته مزجاة فيهما، لتذكر ما يهدي من القرآن الى صحة قول الرسول الكريم السابق، وتبعاً لذلك.. الى صحة رواية البخاري؟ بل اليس الرجل جاهلاً بالتمييز بين «المقامات»؟ فالقول يأتي فيه تهديد ووعيد كما يأتي فيه طمأنة وتبشير، ولكن لكل منهما مقام، وجهة مخصوصة بالكلام.

ح- وتحت عنوان «البخاري والحكم والصحابة»، يورد احاديث ويعلق عليها، منها: حديث ابي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ان النبي ﷺ قال: «الناس.. تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم» البخاري، كتاب المناقب، ومن هذا الكتاب (ص٩٤).

ويعلق المؤلف بقوله: الحديث يظهر تماماً ان قريشاً صاحبة الحق في الإمرة والخلافة، (هذا الشأن)، في الاسلام، تماماً كما كانت قبل ذلك في الجاهلية، «كافرهم تبع لكافرهم»، حيث كانت مكة مركز عبادة الأصنام، وعليه فإن أبا هريرة يثبت ما كان لقريش من مكانة قبل الاسلام لتصبح مكانة عالمية ابدية، (ص٩٤).

وأقول: ان الرجل لا يستطيع ان يفهم القول المشهور للفقهاء الافاضل، وهو: «الحكم يدور مع علته، وجوداً وعدماً».

ومعنى هذا ان الرسول العظيم ﷺ، عندما قال حديثه السابق، لا يعني ان الناس تبع لقريش، ما دام ليل ونهار، وانما

يعني ان قريشاً في ماضيها، قبل الاسلام بمئتي سنة تقريباً، اي منذ زمن قصي، هي سيدة مكة المكرمة وسيدة الجزيرة العربية، ولا يخفى على الرسول العظيم ﷺ، ان السيادة كانت لغير قريش قبل ذلك، ويعني ايضاً ان قريشاً في حاضرها ومستقبلها المنظور هي سيدة اهل الاسلام، اي ما داموا «متفوقين» على غيرهم، اما عندما تبرز جماعة يكون فيها من عناصر السيادة ما يفوق ما عند قريش، عندما تتدهور صفات السيادة او تضعف عند قريش، فالسيادة لهذه الجماعة في محلتها او بلادها.

لأن الرسول العظيم ﷺ، يعي وعياً جامعاً، ان السيادة تتبع عناصر القوة في جميع وجوهها وليست تتبع عرقاً، وان ضعفت او انحطت فيه صفات السيادة.

ولهذا نفسه كانت الامارة في يد المهاجرين غالباً، في عهد الرسول العظيم ﷺ، لأن الانصار، كما يشهد التاريخ، كانوا في ذلك الحين اقل كفاءة من المهاجرين، (هذه الفقرة الأخيرة رد على قول المؤلف: ان الرسول ﷺ استبعد الأنصار من القيادة ص١٠٣).

وإذن.. حديث الرسول ﷺ، يعني: «الناس تبع لقريش ما دامت قريش تملك عناصر السيادة لأن «علة» السيادة هي وجود عناصرها في قوم، فاذا انتقلت «العلة» الى غيرهم، انتقلت السيادة الى هؤلاء الغير»، والله تعالى أعلم..

ج- يورد المؤلف تحت عنوان: «البخاري والمرأة» عدة احاديث، يزعم في التعليق عليها، انها منحازة للرجل ضد المرأة (ص١١٣-١٣٤) نأخذ منها حديثاً واحداً، لداعي الاختصار في مقالة حديث ابي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير ولم يكتمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» البخاري: كتاب الأنبياء، (ص١١٨) من هذا الكتاب.

ويعلق المؤلف: فإننا نجد ان من كمل من الرجال كثير، اما النساء فاثنتان فقط!! الحقت بهما عائشة حياءاً، علماً أن هناك كثيراً من الناس لا يأكلون الثريد (فتة اللحمة) ولا يفضلونه أبداً على سائر الطعام (ص١١٩).

أقول: اما قرأ المؤلف قول الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك الا رجالاً نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾ النحل: ٤٣.

ومعنى ان الرسل من الرجال دون النساء، ان الرجال كقاعدة عامة اكمل من النساء (على طهر كثير منهن ووعيهن) لأن الرسل هم «أكمل» البشر، اما والرسل لا



يأتون الا من الرجال.. فهذا يجعل قول الرسول العظيم مفهوماً، ويدل على حقيقة واقعية، وصادق صدق حقائق الكون..،

اما ان عائشة رضي الله عنها، قد الحقت حياءاً.. فهذا هرطقة من المؤلف، لأن الرسول العظيم ﷺ لا يستحي من الحق، لأنه: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾النجم: ٣، والذي لا ينطق عن الهوى لا يجامل على حساب الحق، اما تفضيله عائشة على النساء، فأنا أفسره على انها كذلك عنده ﷺ، كزوج لها يحبها، اما ترى انه قال: «كفضل الثريد على سائر الطعام»؟ فالثريد مفضل عنده على سائر الطعام، وعند كثيرين، وليس عند جميع الناس، وهذا من الأمور التي ليست من التشريع، فالأمر بالمتابعة او عدمها يقع في اطار الاباحة.

وبعد: أيها الأخوة المتلقون، فان ما اوردته، نماذج دالة على منهج الكتاب، وعقلية مؤلفه، فهو يرجع الى مراجع غير وثيقة أحياناً، لينصر فكرته، من غير ان يحقق الخبر، المدلل به، وهو غير وثيق الصلة بالقرآن الكريم والحديث الشريف، وهو عاجز عن ان يلمح ما في المقال او المقام او السياق، ما يجعل الحديث طبيعياً، وغير مستغرب، وقد لا يكون عاجزاً، فقد يكون صاحب نية مدخولة، ولذا.. يقفز عن حقائق النص، ليصل بلا مقدمات صادقة او أدلة بينة الى ما يهدف اليه.

فالحق.. ان المؤلف تجنى على البخاري رضي الله عنه، اما البخاري فليس له «جناية» بل سمع ووعى وبلغ، أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ، هي رديف القرآن الكريم، في مجالي العبادة والتشريع، والله تعالى اعلم.

